

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[280] تُرى: أيقولون بأَنَّا لبيننا دعوة المرسلين؟ فهذا كذب محض! والكاذب خاسر في

ذلك اليوم، أم يقولون بأَنَّا كذَّبناهم، واتهمناهم، وقلنا لهم بأَنَّا كم سحرة ومجانين وحاربناهم وقتلناهم مع اتباعهم؟... ما عسى أن يقولوا هناك؟! فكل ما يقولون كاشف عن فضيحتهم وشقائهم!. حتى أَنَّ الانبياء والمرسلين في ذلك اليوم يجيبون ربهم حين يسألون (ماذا أجيتم قالوا لا علم لنا إنَّك أنت علام الغيوب). (1) ما الذي يقوله في ذلك اليوم وفي ذلك المكان عمى القلوب من المشركين؟! لذلك يكشف القرآن عن حالهم هناك فيقول: (فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضاً ولا يعرفون جواباً!. والذي يستلفت النظر أن العمى نسب في الآية للأنبياء لا للمشركين فلا يقول عمى المشركون هناك بل يقول: "عميت عليهم الأنبياء". لأنَّه كثيراً ما يحدث أن يكون الإنسان غير عالم بالخبر، لكنَّه يصله بانتشاره على أفواه الناس، كما يتفق لنا أن نكون جاهلين بالشيء أحياناً فنعرف به حين ينتشر بين المجتمع، لكن في يوم القيامة، لا الناس مطَّلعون، ولا الأخبار تنتشر!. فعلى هذا تعمى الأخبار، فلا يملكون جواباً هناك على قوله تعالى: (ماذا أجيتم المرسلين) فيحيط بهم الصمت من قرنهم إلى أقدامهم. وحيث أنَّ السلوب القرآن هو ترك الأبواب مفتوحة بوجه الكافرين والآثمين دائماً، لعلهم يتوبون ويرجعون إلى الحق في أي مرحلة كانوا من الإثم، فإنَّه يضيف في الآية التي بعدها: (فأمّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفّلحين). فسبيل النجاة - حسب ما يوضحه القرآن - يتلخّص في ثلاث جمل هي العودة والتوبة إلى الله، والإيمان، والعمل الصالح، وعاقبتهما النجاة والفلاح حتماً.